

## كيف عرفت الشهيد عبد الله عزام؟!

بمناسبة ذكرى استشهاده



السبت 8 ديسمبر 2007 05:03 م

كتب: بقلم: د. جابر قميحة

عرفت الشهيد عبد الله عزام، وعاشته لبعث سنين؛ ففي 18 من أكتوبر سنة 1981م- وكنت آنذاك مدرّسًا بكلية الألسن بجامعة عين شمس- غادرت القاهرة إلى الولايات المتحدة مبعوثًا من وزارة التعليم العالي المصرية أستاذًا زائرًا لمدة عام، بجامعة (Yale) بمدينة نيوهافن بولاية كونكتكت.

وفي أواخر ديسمبر من العام نفسه، وعلى مدى أربعة أيام، حضرت مؤتمرًا بمدينة سبرنج فيلد (Spring Field) بولاية ألينوي للشباب المسلم العربي، حضره قرابة عشرة آلاف من الشباب، وكان شعار المؤتمر: "الأسوة الحسنة"، وحول هذا الشعار دارت أغلب المحاضرات والندوات، وقام الشباب المسلم- في دقة رائعة وانضباط منقطع النظير- بكل الأنشطة والأعمال والخدمات التي يتطلبها المؤتمر، يصدق ذلك على تقديم الطعام بوجباته الثلاث، وأعمال النظافة والحراسة، والتسجيلات الصوتية، والنشرة اليومية المطبوعة، والسوق الخيرية.. إلخ، حتى أشادت الصحف الأمريكية ببراعة هذا التنظيم ودقته، ويومها كتبتُ في نشرة المؤتمر، التي كانت تصدر يوميًا: "لقد آمنت بإمكانية قيام الدولة الإسلامية المنشودة؛ لأن ما رأيته من دقة وتعاون ونشاط وإخلاص في التدبير والتنفيذ.. يجعل من المؤتمر صورة مصغرةً للدولة الإسلامية، التي نتطلع إليها، ونهغو قلوبنا إلى وجودها...".

وفي هذا المؤتمر العظيم كان أول لقاء لي بالدكتور عبد الله عزام، الذي كان واحدًا من أعلام المحاضرين والخطباء في المؤتمر، وفي إحدى الأمسيات شرح عبد الله عزام أمام هذه الألوف المؤلفة من الشباب أبعاد القضية الأفغانية، وسمعت منه كلامًا جديدًا جعلني أزداد إيمانًا بصدقية الجهاد الأفغاني.

كان عبد الله عزام يتكلم بنبض إيماني دقّاق باسم الإسلام والجهاد والدّم الزكيّ الذي بذله أكثر من مليون شهيد، ولكنّ هذه العاطفة القوية الجياشة كانت مصحوبةً بمنطق عقلي علمي متزن وقور، وفي تضاعيف كلامه حتّ عبد الله عزام شباب المؤتمر على التبرُّع للمجاهدين واليتامى والأرامل والجرحى ببعض مالهم، وانضمّ لصوته صوتٌ قويٌّ آخر، يتدقّق بلاغةً وإيمانًا، هو صوت الدكتور يوسف القرضاوي.

وفي ربع ساعة كان أمام الرجلين على منصّة الخطابة ما يزيد على ربع مليون دولار، عدا مغانج عشرات من السيارات الفاخرة، مصحوبةً بتنازلات عن ملكيتها لصالح القضية الأفغانية، وهذا كله عدا "أنقال" من الحلّي الذهب، تبرعت بها السيدات المسلمات اللاتي كنّ يحضرن المؤتمر في قاعة مستقلة، وقد علمت أن الواحدة منهن كانت تجرّد عنقها وأذنيها وبديها من حلّيها الفاخر، وتضعه في منديل، وتقدّمه تبرعًا وهي تلهج بقولها: "ما عند الله خير وأبقى".

كان عزام مندوبًا عن المجاهدين الأفغان في المؤتمر، ولم أكن أعرف عنه إلا أنه فلسطينيّ الجنسية، وأنه أحد الأعضاء البارزين المخلصين في جماعة الإخوان المسلمين، وأنه يعمل أستاذًا للتشريعة الإسلامية في الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد

بباكستان، وان له صلة قوية وثيقة بقيادة المجاهدين الافغان، وخصوصًا سيف عبد رب الرسول، وقبل إنه كان همزة الوصل بين المجاهدين الأفغان، وبعض الشعوب العربية، وأصحاب الاتجاهات الإسلامية الحريصين على مناصرة المجاهدين الأفغان، وتمًا المجهود المبارك بعد ذلك بفتح مكتب في مدينة بنشاور لإعداد المجاهدين من المتطوعين العرب الذين وفدوا إليه بالبنات، ولتلقى التبرعات، وتنسيق الجهود على كل المستويات، وكان عبد الله عزام هو القائم على أمر هذا المكتب ورعاية شئونه.

وكان لقاؤنا الثاني في الجامعة الإسلامية بإسلام آباد التي أُعزِّت للعمل بها لمدة خمس سنوات (1984م-1989م)، وهي الجامعة التي يعمل بها الدكتور عزام، وتعددت لقاءاتي به في الجامعة حتى كادت تكون لقاءات يومية سريعة.

ثم كانت لقاءاتنا في منتديات ومحاضرات عامة، وكان- رحمه الله- حريصًا على حضور الأمسيات الشعرية التي كنا نُقيمها في الجامعة أو مقر اتحاد الطلاب العرب، فقد كان يحب الشعر ويتذوقه ويحفظ كثيرًا منه، ويستشهد ببعض الأبيات الشعرية المتوهجة في مقالاته.

وأذكر في هذا المقام أنه- رضوان الله عليه- ما كان يلقاني في الجامعة ونحن في طريقنا لأداء محاضراتنا في الفصول إلا وأوقفني وقال وعلى وجه ابتسامة عريضة:

- "لن أتركك إلا إذا أملت عليّ بيتًا من شوارب الشعر"، ويُخرج من جيبه "نوتة" صغيرة، ويسجّل فيها ما تسعفني به الذاكرة، ولآخر بيتٍ أملت له قصة: لقد استوقفني وقال: أريد بيتًا في موضوع الغربة، فضحكت وقلت له: اكتب المثل المصري المشهور "الغربة كربة"، قال مبتسمًا: "أعني غربة الروح"، وأحسست أنه شعر بالارتياح العميق حينما أملت عليه بيت ابن الرومي:

عادك أنسُ المجد من كل وحشةٍ فإثك في هذا الأنامِ غريبٌ

وبصوت خفيض أخذ يردد الشطر الثاني، ورأيت في عينيه عبرتين، وافترقنا.

أما آخر اللقاءات فكان بعد صلاة العشاء مساء يوم من أيام فبراير سنة 1989م، كنت ألقى محاضرةً عامةً في قاعة المحاضرات الكبرى بالجامعة، وموضوعها: "رائد الجهاد الفلسطيني عز الدين القسام: في التاريخ والأدب".

وأثناء المحاضرة دخل عبد الله عزام ومعه أبوه الذي جاوز الثمانين: شيخ قصير القامة، علاه الشيب، ولكنّ الحيوية تظهر في عينيه وقسمات وجهه، وكان معهما العالم العراقي المجاهد الشيخ محمد الصواف، وعلّق الشيخان عزام والصواف على المحاضرة بكلام طيب، وكان تعليق عبد الله عزام- كله أو أغلبه- تغرلاً في الشهادة ومقام الشهداء حديثٌ من يمتدُّ بنظره وروحه إلى نيل هذا الشرف العظيم.

هذا والمعروف أن عبد الله عزام ترك العمل بالجامعة سنة 1987م ليتفرغ تمامًا لمقتضيات الجهاد الأفغاني، وليصبح علماً من أعلام هذا الجهاد، أما الأدوار النبيلة التي قام بأدائها فهي أكثر من أن تحصى وتعد.

وعدت إلى مصر- بصفة نهائية- في يونيو 1989م، وعلمت بعد عودتي بأسابيع نياً استشهاده ومعه ولده محمد وإبراهيم، حين فجر أعداء الإسلام سيارته وهو متجهٌ إلى أحد مساجد بنشاور لإلقاء خطبة الجمعة يوم 25/4/1410هـ= 24/11/1989م، قلت: يرحمه الله، لقد حقق الله له أعلى أمنية حرص على تحقيقها طيلة حياته، وانعكست سيرته وعظمت حروفًا مشرفةً مضيئةً في قصيدة ملحمية طويلة نظمها بعنوان: "الفارس الذي صعد"، ومنها الأبيات التالية:

ثم اختفى فسألت عنه

- فقيل:

لا تبحث هنا، وأبحث هناك

- وما هناك؟

- حيث المدافع والخنادق والصخور

حيث الكفاح المرُّ يحكي ملحمة

كُتبت بماء القلب والأعصاب

والأشلاء والعزم السعير

فهنالك خالدها

ه حاتم ريغة روصلا

وسعدُ

والمثنى

والكتيبةُ

والنديزُ

يتقدمون بغتية الأفغانِ

في زحفٍ خطيرٍ

و"عُقَابُ" سيدنا رسولِ الله

فَوْقَهُمْ ترفرفُ كالهديزِ

ليحققوا النصرَ الكبيرُ

أو موتةً تزهو على الأكوانِ

"أنعمُ بالمصير!"

"عزائمُ" في هذي الكتيبةِ في بشاؤزِ

أو عند "عزنة" أو "هرات" و"قندهار"

ليلاً هُنا، وهناكَ في ألقِ النهازِ

-----

[Komeha@Menanet.net](mailto:Komeha@Menanet.net) \*

<https://www.ikhwanonline.com/article/32691>